سقراط

469 ـ 399 ق . م

سقراط والسقراطيون:

كان جميع الفلاسفة الذين عُنُوا بالفلسفة في (أثينا) قبل «سقراط» غُرَباءَ عن (أثينا). و«سقراط» أول فيلسوف أثيني الأصل.

وقد بلغت (أثينا) ذروَةَ مَجدها وازدهارها في عهد «بريكلس»، عرفت بعده انحطاطاً سياسياً وخُلُقياً واقتصادياً. بلغ في خَلاله الفكرُ الفلسفيُّ والعلميُّ أعلى درجاته، وقد بَزغَ فجرُ عالَمٍ جديدٍ مع «سقراط» و«أفلاطون» و«أرسطو»؛ حيث وُفِّقَ الثلاثةُ بأنَّهم تقدَّموا بقُدرَتهم على التعبيرِ لا بقوَّة ابتكارِهِم فقط. وقد ظهر «سقراط» في بيئة سيطرت على الفكر اليونَانيِّ فيها نزعتان متقابلتان:

1 ـ نزعة ما ورائية، تُعْنى بالرياضيات، والفلك، والطبيعة.

2 ـ نزعة سوفسطائية، تُنكِرُ قيمةَ الفكر البشريِّ، وتضعُ الخطابةَ فوق كلِّ شيء.

وقد حارب «سقراط» كلتا النزعَتَين، وبنى فلسفتَهُ على أُسُسٍ جديدةٍ، بحيث خطَّ للفكر الإنسانيِّ طريقاً لا نزال نَسير عليه حتى يومنا هذا.

لقد حوّل «سقراط» التفكيرَ التأمُّليَّ اليونانيَّ إلى اتجاهٍ جديدٍ؛ وذلك برفضه الفيزيقا، وتركيزِه على المسائل الأخلاقية.

إنَّ الفلاسفة الأوّلين قد أخضعوا الإنسانيةَ إلى النظر في الواقع الفيزيقيِّ الخارجيِّ. لذلك أطلقَ عليهم «أرسطو» اسمَ: الباحثين في الطبيعة، أو: أصحابَ الفيزيولوجيا؛ لأنَّهم درسوا طبيعةَ الأشياء.

وقد حاول جميع الفلاسفة قبل «سقراط» أن يَصفوا طبيعةَ الأجسام السماوية، وكان لهم بعضُ الاهتمامات بدراسة الرياضيات والفلك، مثل: «فيثاغورس»، أو دراسَة الطبِّ وعلمِ الأجنَّة، مثل: «أنكساغوراس». وكان أغلبُهُم يهتمُّ بالمشكلات الطبيعيةِ الشَائعة عندئذ، مثل: أسباب الزلازل، وأقواس قزح، أو فيضانات النيل، وطبيعة العالم.

حياة سقراط:

سقراط : فيلسوفٌ يونانيٌّ أثينيٌّ الأصل. لا نعرف عنه شيئاً إلاَّ ما رواه لنا بعضُ الكُتّاب، الذين أعطونا عنه أوصافاً، وما رواه لنا خُصُومُه والمُعجَبون به؛ إذ إنَّه لم يترك لنا أثراً مكتوباً؛ لأنَّه لم يُؤلِّف شيئاً، ولم يكتب شيئاً على الإطلاق. وكلُّ المعلومات عنه وَرَدتنا عن طريق «أفلاطون» و«أرسطو»، وممَّن عاشوا معه؛ إذ قضى حياتَه مُعلِّماً مُبشِّراً، فاستحقَّ لقبَ: [أبو الفلسفة].

إنَّ تمثال «سقراط» ـ الذي وصل إلينا من أنقاض التماثيل القديمة ـ يُبيِّنُ أنَّ «سقراط» كان بعيداً عن الوَسَامة. فهو ذو رأس أصلع، ووجهٍ كبيرٍ مُستديرٍ، وعَيْنَين عميقتَين ذواتي فراسة، وأنفٍ عريضٍ كبيرٍ.

لقد كان رأسُهُ أقربَ إلى رأس عَتّال منه إلى رأس أعظم الفلاسفة شُهرةً. ولكنْ لو تأمَّلنا ثانيةً في هذا التِّمثال، لرأينا أنه يُوحي إلينا بالدَّماثة، واللَّطافة الإنسانية، والبساطة؛ التي جعلت من هذا الفيلسوف والمفكِّر الوطنيِّ مُعلِّماً محبوباً من قِبَل أحسن شَباب (أثينا). وإننا نرى من وراء ألفين وثلاثمائة سنة هيئةَ «سقراط» الغليظةَ المكسوَّةَ بنفس الثوب المُهَلْهَل، وهو يسير على مَهْله في الأماكن الطَّلقة، غيرَ مُهتمٍّ بالناس ولا بسَخافاتهم، بل كان يَجمعُ الشبابَ والمتعلِّمين حولَهُ، ويَستدرجُهُم إلى إحدى زوايا أروقة المعبد المُظلمة، ويسألُهُم أنْ يُحدِّدُوا ويَعرِفوا كلامَهم، وكان من بين هؤلاء الشباب:

1 ـ رجالٌ أغنياءُ، كـ: «أفلاطون»، يستمتعون بهجومه وقَدْحه للنظام الديمقراطيِّ في (أثينا).

2 ـ وكان منهم أيضاً: شبابٌ اشتراكيُّون، أحبُّوا في «سقراط» عدمَ اهتمامه بفقره.

3 ـ وكان منهم: بعضُ الفَوضَويِّين؛ الذين يَرَون أنَّ جميع سُكّان العالَم يجب أن يكونوا أحراراً، بعيدين عن القَلَق، مثل: «سقراط»، وأنْ لا يُوجدَ في العالم أسيادٌ وعبيدٌ.

وقد شعر هؤلاء الشباب مع مُعلِّمهم أنَّ الحياة بغير بحثٍ عن الحقيقة، وبغير معرفةٍ، ليست جديرةً بأنْ يعيشَ فيها الإنسان.

ومن الصعب أن يعرف أحدٌ كيف عاش «سقراط»؛ فهو لم يعمل في حياته قط، ولم يهتمَّ بالغد، وكان يأكل عندما يطلب منه تلاميذُهُ أن يُشرِّفَ موائدَهُم، وهذا يدلُّ على أنَّهم

أحبُّوا عِشرَتَه ومُرافقتَه، ولكنَّه لم يكن يُستقبل في بيته استقبالاً حسناً، ولم يُرحَّب به؛ لأنَّه أهمل زَوجتَه وأولادَه.

كان «سقراط» كسولاً في نظر زوجته، لا يَصلُحُ لشيء. لم يُوفِّر لعائلته من الغذاء سوى الخبز. ولكنَّ زوجته قد أحبَّته، وأحبَّت الحديثَ والحوارَ معه؛ إذ كان يدور بينهما حَوارٌ لم يُسجِّله لنا «أفلاطون». فحُبُّ زوجته له بدأ عندما حُكِمَ عليه بالإعدام؛ إذ لم تَقوَ على رؤيته يموتُ عندما تَجرَّع السُّمَّ، مع أنه تجاوز السبعين من عمره.

ومن الأسباب التي جعلت تلامذتَهُ يُحبُّونَه ويُبجِّلونَه؛ أنَّه كان رجلاً كما كان فيلسوفاً؛ إذ عَرَّضَ نفسَه للخطر لإنقاذ صديقٍ له في المعركة.

وكان ذو إرادة قوية، قادراً أن يشرب باعتدال، دون إفراط أو وَجَل؛ فهو إنسانٌ نبيلٌ فاضلٌ، أحبُّوا فيه كثرَةَ اعتداله في حكمته. فقد كانَ هاوياً للحكمَة لا مُحترفاً لها، وقد قيل: إنَّ صوت الرّبِّ أعلن أنَّ «سقراط» أحكمُ أهل اليونان. وفسَّروا هذا القولَ: أنَّه استحسان لقوله: ((إنني لا أعرف سوى شيءٍ واحد وهو أنني لا أعرف شيئاً)).

نزاهة سقراط وزهده:

لم يكن هدفُ «سقراط» من تعليم الناس وتهذيبهم، الطمعَ في المال؛ إذ إنَّ كلَّ من كان في (أثينا) يُعلِّمون الناسَ بقصد التعيُّش وابتزاز المال.

كان يقول لتلاميذه: إنَّ السعادة ليستَ في البَذْخ والتَّرَف، وإنَّ الشقاء ليس في التقشُّفِ في الطعام والشراب واللِّباس والعَيش.

وكان يقول: ((الموت ولا العار))؛ إذ إنَّ كثيراً من الناس يظنون أنَّ الموت فناءٌ، ويجهلون ما يُخبئُهُ للإنسان من خيرات، بل يظنُّون أنَّ الموت يُخفي لهم الشرورَ العظامَ.

وكان يقول أيضاً: إني أُجلُّكُم يا رجالَ أثينا، وأُحبُّكُم، ولكنَّ الله أحقُّ بأنْ يُطاعَ، ولن أكُفَّ عن دراسة الفلسفة وتدريسها، ولن أكُفَّ عن نُصح كلِّ واحد منكم، وليس في طاقة يدي أنْ أصطَنِعَ لمدينتكم معروفاً أجملَ من تفرُّغي لخدمة الله، ولَن يَشغَلَني شاغلٌ

سوى أنْ أحُثَّكُم أنْ لا تُؤثرُوا الاهتمـامَ بأجسـادكم وأموالكـم علـى الاهتمـام بـالنفس؛ لأنَّ الفضيلـة لا تَحصُـلُ مـن الغنـى، بـل إنَّ الغنـى والخيراتِ جميعـاً: عامّـةً وخاصّـةً، تَحصُـلُ جميعُها للناس من الفضيلةَ.

مباحثة «سقراط» للشعراء والحكماء:

كـان «سـقراط» يُجالس الشعراءَ ويُباحثُهم، فوجد أنَّهـم يَنظُمُـون الشِّـعرَ لا بفضـل الحكمة، بل بفضل مَوهبة طبيعيـة؛ إذ إنَّهـم لا يُدركـون معـانيَ مـا يقولـون، فقـال: ((وَدَّعـت منازلَ الشعراء بعدما عَرَفتَ أنِّي أفَوقُهم، كما فُقْتُ أربابَ السياسة)).

ثم نَزعَ إلى الصُّنَّاع أصحاب المِهَن والصناعات، فوَجدَهم يَعرفون الكثيرَ من الصُّناعات التـي لا يَعرِفُهـا، إلاَّ أنَّهـم كـانوا يدَّعـون أنَّهـم يُجيـدون سائرَ العلومَ العاليـة، كمـا يُجيـدونَ صناعَتَهم، وهذا ما يشوبُ فضلَ حِكمتِهم ومَعرفَتِهِم.

وحي دلف:

قال القضاة: ما الذي أدَّى إلى شُهرَتِك يا«سقراط»؟ ومـا هـو سبب النميمـة عنـك؟ وما شأنك؟.

قال سقراط: سـأقول لكـم مـا الـذي أكسبني هـذه الشـهرة، وألصـقَ بـي هـذه التهمـة، وسأروي لكم مقالةَ صدقٍ لا يُختلَفُ في صِحّتِها:

لم أصل إلى هذه الشُّهرة، يا رجال أثينا، إلاَّ «بالحكمة» التي تَلقَّيتُها من إلَه دلف (معبـد في مقاطعة فوسيده، في الجنوب الغربيِّ من جبل برناس). مكتوب على واجهة المَعبد: «اعـرف نَفسَـك، وإيّاكَ والإفراط». وكـان هـذا المعبدُ قبلـةَ الوثنيين، ومَهبِطَ وَحيِهـم، حتـى أغلَقَـه «تيودوسيسوس» الكبير عام 385ق.م، وهذا شاهدٌ على حكمتي.

وقد سأله بعضُ الحكماء: هل من حكيم أوفرُ من «سقراط» حكمـةً؟ فأجابتـه العرَّافـة: (كلاَّ، لا أحكمَ من «سقراط»).

والذي ساقني إلى ما أقولُ هو: الواجبُ الـذي يَقضـي علـيَّ أن أكشـفَ لكـم سبيلَ النميمـة إليَّ، وبقيت أُفكِّرُ: لماذا قال الإلهُ: إنِّي أحكَمُ البشرِ، مع أنِّي لا أعرف لنفسي شيئاً من الحكمة.

obeikandi.com

فالله لا يَخدَع، ولا سبيل له إلى الخداع، وأردت أن أتأكّدَ من صحَّة هذا القول، فاتَّجهت إلى أحد الحكماء، فلمَّا أنْ بَلَوتُ الرّجُلَ، وسَبَرْتُ غَوْرَه، وبدا لي - يا رجال أثينا - أنَّه حكيمٌ في نظر الناس ولا سيّما في عَيَنَيْ نفسه، إلاَّ أنني وجدتُ أنَّه لا حكمةَ عنده، فهو يدَّعي العلمَ مع جهله. أما أنا فلا أعرفُ شيئاً، ولا أدَّعي المعرفةَ، فعَلمتُ بأنّي أحكَمُ منه؛ لأنَّ الواقع: [لا حكيمَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ]، وأنَّ الحكمة البشريةَ لا شيء، وأنَّ الله ذكرَ «سقراط»، كأنه يقول: إنَّ الحكيم بينكم أيها الأنام مَن يُماثِلُ «سقراط» (معتقداً أنَّه ليس من الحكمة على شيءٍ).

فلسفة سقراط:

لقد جاء قبل «سقراط» فلاسفةٌ أقوياءُ، مثل: «طاليس»، و«هرقليطس» وفلاسفةٌ دُهاةٌ، مثل: «زينون»، وعرّافون، مثل: «فيثاغورس»، ولكنَّهم كلهم كانوا فلاسفةً طبيعيين.

قال سقراط: إنَّ هذه الفلسفة حسَنةٌ، ولكنْ هناك فلسفةٌ أجدرُ بالفلاسفة أنْ يَدرُسُوها، وهي: عقلُ الإنسان: ما هو الإنسان؟ وإلى أيِّ شيءٍ سيتحوَّل في المستقبل؟. لذلك كانت فلسفتُهُ فلسفةً إنسانيةً.

وقد تحدث «سقراط» عن العدالة: ما هي؟، وعن الموت والفضيلة، والشَّرف، والأخلاق، والنفس.. فتناول في بحثه كلَّ الأمور الأخلاقيةِ والنفسيةِ. وقد قال «أرسطو» عن «سقراط»: إنَّ «سقراط» شَغلَ نفسَهُ بـ:

1 - مكارم الأخلاق.
2 - واستخدم الأدلة الاستقرائية.
3 - والاستدلالات القياسية.
4 - ويعتبر أول من أثار مشكلة التعريف.
5 - وأنَّه بَحثَ عن الماهيّة، أي: ما هو الشيء؟

ولكنَّ «أفلاطون» صَوَّر لنا «سقراط» بصورة هي أكثرُ الصُّور غزارةً وشُمُولاً. فـ: «سقراط» في رأي «أفلاطون»: هو المتحدثُ الرئيسيُّ، تدورُ مُحادثتُهُ عن طبيعة الفضيلة، والفضائل الجزئية. فالفضيلة عنده: معرفةٌ وعِلمٌ. أمَّا الرذيلةُ، فهي جَهلٌ. فهو يَعرِضُ مناقشتَهُ في صُورٍ قياسيةٍ، تَبدأُ بمُقدِّمتَين، وتنتهي بنتيجة.

ثم إنَّ محادثتَهُ تَتخذُ صورةَ توجيه أسئلة متعددة إلى إنسان واحـد، يُجيبُ عنهـا. وقـد قال: إنَّ كلَّ إنسان يَحملُ في نفسه مبـدأَ المعرفةَ وبُذُورَها، وتوصَّل إلـى ذلـكَ من استخدامه طريقتين هما:

1 ـ طريق السُّخرية والتّهكُّم ممَّن يَدّعون المعرفةَ.

2 ـ طريق التوليد، أو: الاستقراء.

هذا المنهج الذي اتَّبعه سـقراط في فلسفته، كـان يستخدمُهُ مع مَن يَعرضُ عليه الأسئلةَ ليُجيبَهُ. فكان يُوجِّهُ السؤالَ الأوّلَ إلى مُحدِّثه، ويطلبُ منه تحديدَ بعض الحقـائق وتعريفَهـا، ثـم يظهرُ له ضعفُ تعريفه بأسئلة يُوجِّهُها إليه، ويطلب منه الإجابةَ بـ: نعم، أو: لا، ثم يضعُ هـذه الإجابات غير المترابطة في قياس حتى يبيِّنَ أنَّها تدحَضُ إجابةَ المجيب عـن السؤال الأول، فيَسخَرُ منه. ثم يَطلبَ منه ثانيةً اقتراحَ وتحديدَ تعريف آخر، ثـم يعـالجُ الإجابةَ بنفس الطريقةَ الأولـى؛ فيُظهِرُ المجيبَ كأنَّه يُناقضُ نفسَـهُ ولا يَعرفُ مـا كـان يَظنُّ أنَّه يَعرفُه حتى ينتهـي به إلى التحديد والتعريف والإجابة الصحيحة من المجيب نفسه، وهـذه هـي طريقة التوليـد عنـدَهُ. فكـان يقـول: إنني أُولِّدُ الأفكارَ من العقل، كما تُولِّدُ القابلةُ النساءَ. لذلك كان يَميلُ بعـضُ النـاس إلى وصفه بـ: (الماكر)، وكلمة (المكر) تعني باليونانية: التَّهكُّم والسُّخْرية. فيقولون: إنَّ «سقراط» يَدَّعي أنَّه يعرف أقلَّ مما يعرفونَهُ، في حين أنَّه يَعرفُ أكثرَ مما يعرفونَهُ.

وقد قال «أفلاطون»: إنَّ شخصية «سقراط» شخصيةٌ مُذهلةٌ، وذاتُ قيمة فريـدة. فهـو يمتازُ بضَبطه لنفسه، ورَباطَة جَأشه الهائلة، وقوّة احتماله، ومُخالَفَته العجيبة لكلِّ كائنٍ بشريٍّ آخرَ: حياً أو ميتاً، وكان ذا صَلابَةٍ وعزيمَة، تبدو في شخصيته عندما خاطب المحكمةَ يُدافعُ عن نفسه بعد أن اتُّهِمَ بأنَّه يُفسدُ الشبابَ، ولا يَعتقدُ بآلهة المدينة.

المعرفة عند سقراط:

إنَّ المعرفة الصحيحةَ عند «سقراط» لا تكون إلاَّ بالفضيلة، وإنَّ المعرفـة لا تكون ممكنةً إلاَّ إذا وُجد نظـامٌ ثابتٌ في الكون، وهـذا النظام لا يمكـن تصوُّرُه إلاَّ إذا وُجـدت آلهـةٌ حكيمـةٌ تُدبِّرُ الأمورَ، وتُعْنـى بشؤون البشر، وهـذا النظـام لا يُمكـنُ أن يكون علـى الصعيـد الإنسـانيِّ إلاَّ إذا كانت للإنسان نفسٌ خالدةٌ تنال في العالَم الآخرِ الثوابَ أو العقابَ حسب استحقاقها.

فـ «سـقراط» أوّلُ مَن آمـن بوجـود حقيقـة ثابتـة مستقلّة عـن الحقيقـة المحسوسـة، وآمـن بوجود المعرفة الصحيحة التي لا تكون بدون فضيلة كما ذكر.

لذا نرى أنّ «سقراط» يدعو إلى اتحاد قام بين (العمل والفكر). فإيمان «سـقراط» بوجـود عالَم مثاليٍّ ثابت، وبوجود نظام يُسيِّرُ الكونَ جعلَهُ يلاحظ: أنَّ الحـواسَّ لا تسـتطيع أن تدخـل هذا العَالمَ المثاليَّ فتوصل إلى برهان جديد على وجود النفس وتحديد طبيعتها بأنَّها قوّةٌ مُدرِكـةٌ مُستقلّةٌ عن الحواسِّ لا يؤثّر فيها الزمن الغابرُ.

وقـد تصـوَّر «سـقراط» أنَّ هنـاك حيـاةً أخـرى، عَرَفتهـا النفسُ قبـل الحيـاة الأرضيـة، وتعرَّفت خلالَها إلى الحقائق الإلهية الخالدة.

وقال: ((إنَّه لا بُدَّ من الحكمة في الحياة، التي ترتكز على المعرفة والفكـر؛ لأنَّ الفضيلـة عنده تَفترضُ المعرفةَ، بل هي المعرفة ذاتُها، وأنَّ القوانين الخُلُقيّةَ تستمدُّ معناهـا وجَوهَرَهـا مـن طبيعـة الفَـرد والمجتمـع. لذلـك قيـل: إنَّ «سـقراط» أنـزلَ الفلسـفةَ مـن السـماء إلـى الأرض؛ لاهتمامه بالإنسان. وقد وضع برنامجاً للفكر الإنسانيِّ لا يزال برنامجاً للتفكير الفلسفيِّ حتـى اليوم، فقال: ((إنَّ معرفة النفس: تؤدي وتَفرِضُ معرفـةَ قواهـا ومُيُولِهـا ونَزَعاتِهـا، وهـذا هـو موضوعُ علم النفس.

وإنَّ معرفة النفس: تؤدي إلى معرفة جَوهَرِها وأصلِها ومصيرِها، وهذا هو موضوعُ ما وراء الطبيعة.

وإنَّ معرفة النفـس: تـؤدي إلـى معرفـة القوانـين المنطقيـة للتفكـير الصحيـح، وهـذا هـو موضوعُ علم المنطق.

وإنَّ معرفة النفس: تؤدي إلى معرفة طُرُقِ سُلُوكِها وفقـاً لطبيعتهـا الخاصَّـة، وهـذا هـو موضوع علم الأخلاق)).

وقد أخذ «سقراطُ» هذا القولَ: (اعرفْ نفسَكَ)؛ الـذي كُتِـبَ بـأحرف مـن ذهـب فـوق مَدخَل معبد [دلف]. اتخذ هـذا القـولَ شِـعاراً لـه، وبرنامجاً لبحثه الفلسفيِّ؛ فحـاول تحليـلَ الطبيعة البشريةِ ومعرفةَ حقيقتها.

obeikandl.com

هذه الأفكار جعلها «سقراطُ» غذاءً للفكر البشريّ خلال (25) قرناً، وإنْ كُنّا نجهلُ آراءَ «سقراط» مُفصّلةً، إلاّ أنّه شقّ الطريقَ التي سار عليها «أفلاطون» و«أرسطو»، وقد حدَّد العلاقات بين الله والعالَم، وأدخلَ فكرةَ الغائيّة في التفكير الفلسفيّ؛ لأنَّ القلَّةَ الفاعلةَ عنده خاضعةٌ لعقل حكيم مدبِّر.

فـ «سقراط» يُعتبرُ من أضخم مُمثِّلي العقل البشري.

نهاية سقراط والحكم عليه بالإعدام:

إنَّ الأسئلة التي كان «سقراط» يُوجِّهُها إلى الشباب، عن الفضيلة، والأخلاق، والعدالة، والدولة، وكيف يمكن إنقاذ الدولة..؟ وإيجادُ قيَم أخلاقية جديدة في (أثينا)..؟.

كلُّ هذه الأسئلة دفعت (أثينا) إلى الحكم على «سقراط» بالموت، مُتّهمةً إياه بالفساد الخُلُقيِّ. ولكنَّ المواطنين الكبارَ في السِّنِّ في (أثينا) كانوا على استعداد لأنْ يُنقذوا «سقراط» إذا رجع إلى الاعتراف والإيمان بالآلهة المتعددة، ودعا الشبابَ إلى العودة إلى المعابد، وتقديم الأضاحي لآلهة آبائهم. لكنَّه رفض؛ لأنَّه يَعتقدُ أنَّ هذه العمليةَ لا أملَ فيها؛ فقد آمن بالإله الواحد، وآمن بالموت، وأنَّ الموت لا يَقضي عَليه تماماً، وآمن بأنَّ هناك شريعةً أبديةً لا تقوم على دين ضعيف؛ كالدينِ الذي آمنت به (أثينا).

وقد تحدَّثَ «أفلاطون» عن موقف «سقراط» الصَّلب العنيد، أمام المحكمة التي حَكَمتْ عليه بالإعدام، وأدانته بأنَّه مُفسدٌ للشباب. فقد عارض «سقراط» ظُلْمَ الطُّغاة، وظُلْمَ الشعب؛ فقد كان يُجازفُ بحياته مُجازفةً كبيرةً؛ لأنَّه كان يعتقد أنَّه كان يتلقَّى الأوامرَ من الله، سواء عن طريق النّبوّات والأحلام، أو شتّى الطُّرق.

دفاع سقراط:

لقد دافع «سقراط» عن نفسه أمام القضاة، وقال: إنَّ خُصومَه وَشَوا إلى القُضاة، وأقنعوهم، وما ذلك إلاَّ حسدٌ ونَميمةٌ، وما عليه إلاَّ أن يُطيعَ ويَدَّعيَ إلى القانون، ولا بُدَّ أن يحتجَّ، وهذا هو المُرضي عند الله.

دعوى الخصوم: يقول الخصوم في شكواهُم:

إنَّ «سقراط» مُجرمٌ بتَقَصِّيه سرائرَ الأرضِ والسماء عن فُضولٍ، وبإبداله الحقَّ بالباطل، وبتعليمه هذه الأُمورَ للآخرين.

obeikandl.com

دفاع سقراط :

وقف «سقراط» يُخاطبُ قضاتَهُ بحكمة سَنيَّة، وطُمأنينة مُقدَّسة قَلَّما نَجدُها عند غيره من شُهداء الحقّ، فقال: ((إنَّ أشدَّ ما في هذه الحياة اَستبدادُ الظُّلم بأهل الاستقامة والوَداعة. اعلموا: أنَّ «سقراط» كان أشدَّ احتراماً، وتقوى، وعِلْماً لشرائع الدولة، وهو الذي هَذَّب الأثْيْنِيِّين، ومع هذا يُتَّهَم، ويُشكى، ويُقضَى عليه بالموت ظُلماً، بينما كان ألْفُ كافرٍ وخائنٍ وفاجرٍ يعيشون في ظلال الجمهورية بكرامةٍ ومجدٍ ونعمةِ عيشٍ)).

ثمَّ قال: ((لا غرابةَ في دولة تُقدِّرُ العددَ أكثرَ من العلم والمعرفة، ولا غرابة أن تَسودَ الفوضى في دولة يَعُمُّها الجهل. أليس من الجهل أن يَحُلَّ مجرَّدُ العدد مَحلَّ الحكمة.. !؟ الواقع: أنَّه لا يُمكن إنقاذُ مجتمعٍ، وجعلُهُ قوياً إلاَّ إذا تولَّى أمرَ هذا المجتمع أحكمُ رجاله وأعقلُهُم)).

لقد أعلن «سقراطُ» حقوقَ الإنسان، وضرورةَ حُرِّيَة الأفكار.

ولقد رفض «سقراطُ» أنْ يطلبَ الرَّحمة من الجماهير، وفي حين أراد القضاةُ إطلاقَ سراحه، وكان الهَرَبُ من السِّجن في (أثينا) من السُّهولة بمكان؛ إذ طلب منه صديقٌ - هو: «أقريطون» - وهو يتضرَّعُ إليه أن يَهرُبَ، و«سقراط» يرفضُ ذلك، ويقول: بأنَّ عليه أن يبقى في (أثينا)، ويُطيعَ قوانينَها. ولكنَّ الجماهير الغاضبةَ طالبت بإعدامه قائلةً: ألم يُنكِر «سقراط» وجودَ الآلهة، ويلٌ له؛ لأنَّه عَلَّم الناسَ فوق طاقتهم على التعلُّم.

وهكذا حكموا عليه بشُربِ السُّمِّ، وقد بَلَغَ السبعين، واعتقد أنه قد حان الوقتُ ليفارقَ الحياةَ، وأنه قد لا يموتُ أبداً بهذه الطريقة المفيدة لتدعيمِ مبادئه.

ما أعمَقَه، وما أهولَه، عندما يقول لقُضَاته بتلك البَساطة السامية: ((فقد دَنَتْ ساعةُ الرَّحيل. أمَّا أنا فإلى الموت، وأمَّا أنتم فإلى الحياة، فَحَظُّ أيِّنا أفضلُ.. !؟ لا أَحدَ يعلم إلاَّ اللهُ)).

ثم قال: ((إنَّ موتَ الصُّلاَّح والفُضَلاء حياةٌ ونَماءٌ وازدهارٌ للبشرية، كما تكون حياةُ الشجرة وفرُوعُها وأغصانُها بموت نواة صالحة)).

وقال: ((إنَّ رجال الفضل؛ الذين صَرَفوا أيامَهم في خدمة الإنسانية، وتثقيفِ جُهَّالها، وتخفيفِ آلامها، وبذلِ الخيرِ والمعروفِ إلى أفرادها، فهؤلاء جميعاً وإنْ اضطُهدوا وعُذِّبوا

وعُوقبُوا في عيون الناس، فإنَّ ذكرَهُم خالدٌ، وغردُ إحسانِهم وفضائلِهم أنشودةُ العصور والأيام؛ لأنَّ الفضيلةَ المتألِّمةَ أقوى من الرذيلة المنتصرة)).

وقد ذكر «أفلاطون» في محاورة «فيدون»، موقفَ «سقراط» عند موته: بأنَّه كان يؤمنُ بوجود حياة بعد الموت. وقد قال لأصدقائه: ((افرحوا، وقولوا: إنَّكم تُوارُون في التراب جسدي فقط)).

فكان «سقراط» الشهيدَ الأولَ للعقل والمعرفة، كما كان «المسيحُ» الشهيدَ الأولَ للإيمان.

وقد ذكر «أفلاطون» ما قالَهُ «سقراط» قبل وفاته، بعدما قَدَّم إليه السَّجَّانُ السُّمَّ ليَشرَبَه، قائلاً له: عليك يا «سقراط» أن تَمشيَ بعد أنْ تشربَ السُّمَّ إلى أن تشعرَ بثقَلِ قدَميكَ فتَستلقي، وبهذا يَسري السُّمُّ في جسدك. فأخذَ «سقراطُ» الكأسَ بألطف طريق وأسهلَها، وبدون وَجَلٍ، أو تَغيُّرٍ في لونه، قائلاً له: ((عليَّ أن أُصلِّيَ أولاً لله ليُسهِّلَ رحلتي من هذا العالم إلى العالم الآخر)).

ثم رفع الكأسَ إلى شفتيه في هدوء تامٍّ، وابتهاجٍ، ولم يتمالك أصدقاؤُهُ والمشاهدون شُعورَهم وأنفسَهُم، فانهمرت دموعُهُم، وأجهشوا في البكاء، وصَرَخَ صديقٌ له صرخةً عاليةً حُزناً عليه، ولكنَّ «سقراط» وحدَهُ احتفظ بهدوئه وقال: ((ما هذا الصُّرَاخ والصَّخَبُ؛ لقد أبعدتُ النساءَ من هنا كي لا أشعرَ بالإهانة، في مثل هذه الطريقة.. أتركوني أموتُ في سَلامٍ، اهدأوا واصبروا)).

وعندما سَمعوا ذلك منه كَبَحُوا دُموعَهم، واستمرَّ «سقراطُ» في المشي هنا وهناك، إلى أن بدأت ساقاه تَخونانه ولا تقويان على حمله، فاستلقى على ظهره حتى لم يَعُد يشعرُ بجسمه، وبدأت البُرودةُ تَصلُ إلى فَخذَيه، ثم جسمه، فكشَفَ عن وجهه بعد أن كان قد غَطَّى نفسَهُ، وقال: ((ستكونَ النهايةُ عندما يصلُ السُّمُّ إلى القلب)).

وكانت كلماتُهُ الأخيرةُ: ((يا «كرتيو»، أنا مَدينٌ إلى «أسكيبيوس»؛ أرجوك أنْ لا تنسى دفعَ هذا الدَّين)). قال كرتيو: سأدفعُ الدينَ، هل هناك شيءٌ آخر، ولكنَّه لم يسمع جواباً لهذا السؤال.

وبعد دقيقة لَفظَ أنفاسَهُ الأخيرةَ، فقام الخادمُ فغَطَّى وجهَهُ وأغلَقَ عينيه وفمَهُ.

وهكذا كانت نهايةُ أفضلِ رجال (أثينا) وأحكَمِهم وأعدَلِهم.